

سياسات النظام السوري في السويداء بعد العام 2011

مازن عزي
كانون الأول 2023

مازن عزي صحفي وباحث متخصص في الديناميكيات الاجتماعية والاقتصادية لمرحلة ما بعد الصراع في سوريا. يركز عمله على صعود الجهات الفاعلة المحلية الجديدة، والنظام الاجتماعي، فضلاً عن الهياكل الحكومية والأمنية الناشئة في مناطق المصالحة في ريف دمشق وضواحيها. يكتب بانتظام عن التطورات في محافظة السويداء ذات الأغلبية الدرزية، والديناميات المحلية وراء ظهور الجهات الفاعلة المحلية الجديدة والجماعات المسلحة والعصابات، بالإضافة إلى التغييرات التي يمر بها رجال الدين التقليديون والشخصيات الاجتماعية البارزة. وهو أيضًا محرر قسم "الإسكان والأراضي والممتلكات" في "تقرير سوريا"، ويركز على سياسات التخطيط الحضري الحكومية وتأثيرات تنفيذها على حقوق السكن والأرض والملكية للسوريين، وخاصة سكان المناطق العشوائية.

مؤسسة فريدريش إيبيرت
صندوق بريد 116107 رياض الصلح
1107 2201 بيروت
لبنان

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تمثل بالضرورة وجهات نظر مؤسسة فريدريش إيبيرت.

جميع الحقوق محفوظة، لا يمكن إعادة طبع، نسخ أو استعمال أي جزء من هذه المطبوعة دون إذن مكتوب من الناشر.

مقدمة

اعتمدت الورقة على مقابلات متعددة مع نشطاء محليين، صحفيين، وجهاء، ورجال دين، أعضاء مجموعات أهلية مسلحة، وأيضاً على عدد كبير من الأوراق والأبحاث المنشورة. وتستهدف هذه الورقة بشكل خاص صناع القرار، الخبراء والمهتمين بالشأن السوري، وأيضاً السوريين المقيمين في مناطق الانتشار، والجمهور السوري بعامه.

الجزء الأول: التقرب من الدور

في 12 آذار 2011، قام الرئيس بشار الأسد، وعائلته، بزيارة هي الأولى من نوعها، للقرى الشرقية في محافظة السويداء المصنفة ضمن المناطق شديدة التأثر بالجفاف الطويل الذي ضرب سوريا منذ العام 2004. الاستقبال العفوي الشعبي للرئيس وعائلته، تم استثماره بكثافة في الأعلام الرسمي، كرسالة سياسية حول دعم النظام للأقليات في سوريا، فيما بدأ تحضيراً استباقياً لوصول موجة الربيع العربي التي انطلقت قبل أشهر من تونس. وبالفعل، في 14 آذار 2011، بدأت أولى الاحتجاجات الشعبية العابرة للطوائف المطالبة بالديموقراطية في سوريا. انتهج النظام سياسة احتواء وتقرب من الدور، وكذلك فعل مع بقية الأقليات الدينية والإثنية في سوريا، والتي تتضمن خفضاً لمستوى التدخل الأمني المباشر في الحياة اليومية للسكان، ومحاولة عدم إثارة المشاكل معهم واستفزازهم. بينما، على سبيل المثال، حدث العكس تماماً في محافظة درعا المجاورة، ذات الغالبية السنية، والتي تسبب اعتقال فرع الأمن العسكري فيها أطفالاً كتبوا شعارات مؤيدة للربيع العربي على جدران مدرستهم، وتعذيبهم، وإهانة ذويهم، بخروج مظاهرات حاشدة في 18 آذار 2011. ومع خروج الأوضاع عن السيطرة في درعا، والقمع العنيف الذي واجهت فيه الأجهزة الأمنية الاحتجاجات الشعبية فيها، اتخذت الكتلة الكبرى من الدور موقف الحياد والصمت، مع ظهور كتلتين صغيرتين على طرفيها تغاليان في اظهار مواقفهما إما موالة أو معارضة.

وفي معرض تطبيق سياسة الاحتواء تلك، حدّ النظام تدريجياً من صلاحيات شرطة المرور والشرطة البلدية ومختلف الأجهزة الرقابية الأخرى في السويداء ما بين العامين 2011-2014، حرصاً على منع أي احتكاك أمني مباشر مع الناس. وسمح ذلك، بانتشار غير مسبوق للمخالفات على مختلف الأصعدة، من ركن السيارات في غير أماكنها، إلى فوضى البناء غير المرخص¹. كما سعى النظام إلى استيعاب أعداد كبيرة من العاطلين عن العمل، خاصة خريجي الجامعات، في مؤسسات القطاع العام. وأعطيت المصارف العامة

يثير الحراك السلمي المعارض للنظام الذي تشهده محافظة السويداء ذات الغالبية الدرزية جنوبي سوريا، والمستمر منذ نهاية آب 2023، سؤالاً مركزياً عن الظروف التي تطورت فيها العلاقة بين السويداء والنظام في دمشق، خلال السنوات العشرة الماضية، بحيث أمكن لحراك كهذا أن يجري بهذا القدر من الاتساع والامتداد من دون رد فعل عنيف من النظام. إذ أنه رغم عدم خروج السويداء عن سيطرة النظام بعد العام 2011، إلا أن تلك السيطرة أصبحت رخوة نسبياً في مراحل متعددة، وتعرّضت للتحدي والاعتراض الأهلي مراراً. فقد وجدت المنطقة نفسها أمام تحديات وظروف صعبة فرضتها تطورات الثورة والحرب الأهلية، وتحديات مرحلة ما بعد النزاع. في لحظات كثيرة، بدا وكأن النظام، بحاجة للدور، ضمن تحالف الأقليات الذي قاده في معرض حربه ضد المنتفضين ضده، وغالبيتهم من المسلمين السنة. في تلك اللحظات استمال النظام الدور، وقدم لهم بعض ما في جعبة مؤسسات الدولة من حوافز وتسهيلات، ولم يمانع بترك هامش من الحرية النسبية لهم في حل مشاكلهم اليومية. وفي اللحظات التي أبدى فيها الدور رفضاً لسياسات التجنيد الجباري، أو عندما أصروا على حيادهم، أو على المطالبة بتحسين أوضاعهم المعيشية، لم يتردد النظام بالرد باستخدام مجموعة مختلفة من الأدوات ضدهم، من بينها العنف. ومع ذلك، لم تنقطع الصلات بين الطرفين، وظلا محافظين على علاقة معقدة تغيّر فيها بعض الوسطاء والفاعلين، واستمر بعضهم الآخر أو تبدلت أدوارهم. مؤخراً، نقل الحراك السلمي المعارض علاقة الطرفين إلى مرحلة جديدة، أظهرت فيها السويداء صراحة معارضتها للنظام بدمشق، بينما اختار النظام موقفاً يتسم بمزيج من الحياد والتجاهل.

السؤال المركزي الذي تحاول هذه الورقة الإجابة عليه هو؛ ما هي الأدوات والسياسات التي استخدمها النظام في التعامل مع السويداء ما بعد العام 2011. وللإجابة عليه، تقسم الورقة مقاربات النظام للأوضاع في السويداء إلى مراحل؛ التقارب مع الدور 2011-2014، الإدارة الأمنية الفجة 2014-2018، حكم العصابات الأمنية 2018-2022، ثم الهدوء ما قبل العاصفة بين 2022 ومنتصف 2023، والمرحلة الراهنة من الحراك السلمي المعارض للنظام التي تجري أبرز أحداثها حالياً في ساحة الكرامة في مدينة السويداء. تعرض أيضاً هذه الورقة، كيفية استجابة المجتمع المحلي لسياسات النظام تلك، وأنماط المقاومة والاعتراض عليها. كما توضح أشكال تواجد مؤسسات الدولة وفعاليتها، وأشكال الحوكمة في السويداء، أمنياً وخدميًا، ومن هم الفاعلون المحليون، في كل تلك المراحل. وكذلك، توضح الاحتمالات المتوقعة لتطور هذه المسارات مستقبلياً.

1 مقابلة مع مهندس مشرف في فرع نقابة المهندسين بالسويداء، آذار 2023.

مواقف معارضة نسبياً للنظام.⁸ لكن ظروف الحرب حتى تلك اللحظة كانت قد أرخت بظلالها على قدرة النظام في الجذب والاستقطاب، وتراجعت عطاياه وقدرته على منح خدمات خاصة وميزات إضافية لشبكات الموالين من السكان. واستعاض النظام عن التمويل المباشر والخدمات التي اعتاد على تقديمها عبر مؤسسات الدولة، بإطلاق يد الميليشيات الموالية في النشاطات غير الشرعية المرتبطة باقتصاد الحرب، خاصة تهريب الأغذية والمحروقات والسلاح، بين السويداء، ومناطق المعارضة المحاصرة المحيطة بها. وعادت تلك النشاطات بالفائدة أيضاً على العصابات والمجموعات الأهلية المسلحة الفوضوية التي بدأت تظهر في مختلف مناطق السويداء. استقطبت هذه الطرق غير الشرعية الملتوية في التمويل وتقديم الخدمات، فاعلين جدد محليين لهم ارتباطات بعوالم الجريمة الجنائية، ونقرت الشرائح التقليدية من وجهاء الدروز، وباتت عبئاً عليهم.⁹

من جانب آخر، تزايد الرفض الشعبي في السويداء للجنيد الاجباري في صفوف الجيش السوري، نتيجة ازدياد عدد القتلى بينهم على مختلف الجبهات في سوريا. عزز ذلك انتشار فتوى دينية درزية، بقيت مجهولة المصدر، حرّمت الصلاة على جنائين المقاتلين الدروز إن قتلوا في معارك خارج حدود السويداء. تكررت محاولات الحواجز ودوريات الشرطة العسكرية خلال العام 2014 لإلقاء القبض على دروز مطلوبين للخدمة العسكرية، لكن الأهالي ردوا بمهاجمة فروع الشرطة أو مراكز الأمن، وتحرير أبنائهم، من دون أن يحفز ذلك ردود فعل أمنية عنيفة مما أشار إلى عدم رغبة النظام في التصعيد.

في الوقت ذاته كانت قرى ريف السويداء الغربي تتعرض لهجمات من تنظيمات إسلامية متطرفة محسوبة على المعارضة في درعا،¹⁰ كما حدث في معركة داما في العام 2014 والتي قتل فيها العشرات من المقاتلين الدروز المنضوين في مجموعات أهلية مسلحة حديثة النشأة حينها. أبرز تلك المجموعات كانت حركة رجال الكرامة التي أسسها وقادها الشيخ وحيد البلعوس.¹¹ اعتبرت الحركة حينها أن النظام ترك الدروز يواجهون التنظيمات المتطرفة ولم يزودهم بالسلاح

صلاحية التخفيف من بعض قيودها الصارمة في منح القروض الصغيرة.²

ظهرت في هذه المرحلة أيضاً أولى الميليشيات المحلية المنظمة المسلحة، والمرتبطة بمعظمها بالأجهزة الأمنية والعسكرية، والتي كُلفت بمواجهة المظاهرات والاحتجاجات المناهضة للنظام في السويداء، مثل كتائب البعث ونسور الزوبعة وحماة الديار.³ بعض أعضاء تلك الميليشيات هم من أصحاب السوابق الجنائية والمطلوبين للقضاء، وهذا ما قاد بدوره إلى تعطيل صلاحيات الضابطة العدلية ومنعها من ملاحقتهم.⁴ عبر تفويض مسؤوليات أمنية لهذه الميليشيات المحلية، تجنب النظام الصدام مباشرة مع المعارضين الدروز، مفضلاً نقل ميدان الخصومة السياسية إلى الحيز الأهلي. ترافق ذلك مع تفعيل سياسة الاحتواء الأهلية وإعادة بعض الصلاحيات التقليدية للوسطاء من الوجهاء ورجال الدين الدروز، بالتدخل لفض المنازعات عبر طرق الصلح العشائري.⁵

الجزء الثاني: الإدارة الأمنية الفجوة 2014-2018

سيطرت المعارضة على أجزاء واسعة من محافظات درعا والقنيطرة وريف دمشق، المحيطة بالسويداء ما بين العامين 2014-2018. وتسبب ذلك بتعزيز صلاحيات رئيس فرع شعبة الأمن العسكري العميد وفيق ناصر، ليصبح بمثابة حاكم عسكري للمنطقة الجنوبية.⁶ في البداية حاول العميد استقطاب مشيخة عقل الموحدين الدروز،⁷ والزعماء والوجهاء التقليديين في السويداء، مستثنياً منهم من اتخذوا

2 مقابلة مع مدير مؤسسة عامة في السويداء، آذار 2023.

3 كتائب البعث هي ميليشيا مسلحة تابعة لحزب البعث الحاكم في سوريا ولها مجموعات محلية في جميع مناطق سيطرة النظام. نسور الزوبعة ميليشيا مسلحة موالية للنظام تابعة للحزب السوري القومي الاجتماعي، ولها أيضاً مجموعات محلية في بعض مناطق انتشارها في سوريا. حماة الديار ميليشيا درزية محلية موالية للنظام في مدينة السويداء، أسسها وقادها الشيخ نزيه جربوع، بتمويل، تسليح وتدريب من الأجهزة الأمنية.

4 همام الخطيب، «السويداء: نظام الجريمة»، المدن، 13 آب 2016، <https://shorturl.at/jvEX3>

5 Mazen Ezzi، «Swaida: The Static Revolution»، a chapter in a book titled «Playing the sectarian card: identities and affiliations of local communities in Syria» edited by Friederike Stolleis, published by Friedrich Ebert Stiftung 2015, <https://shorturl.at/hnO26>

6 فرع الأمن العسكري في المنطقة الجنوبية مسؤول عن محافظات درعا، القنيطرة والسويداء، ومقره الرئيسي في مدينة السويداء. ترأس العميد وفيق ناصر، فرع الأمن العسكري في المنطقة الجنوبية بين العامين 2011-2018، وترقى خلالها ليصبح برتبة لواء. بعدها نقل ليصبح رئيس فرع الأمن العسكري في حماة، ثم في حلب، قبل اقالته على التقاعد في العام 2023. للمزيد عن سياسة العميد ناصر في السويداء، انظر: همام الخطيب، «وفيقي ناصر ينسف مقولة النظام الغبي»، المدن، 11 أيلول 2016، <https://shorturl.at/gnrww>

7 في السويداء ثلاثة شيوخ عقل، كلٌ منهم له منطقة نفوذ اجتماعية في عملية تقاسم تطوّرت تاريخياً منذ مطلع القرن الثامن عشر. ومشيخة عقل الدروز وراثية، تتناقلها ثلاث عائلات: الهجري في قنوات، جربوع في السويداء والحناوي في سهوة بلاطة. وينتظم أولئك الشيوخ الثلاثة في مؤسستين دينيتين درزيتين رسميتين: الأولى هي الرئاسة الروحية للموحدين الدروز التي يرأسها حالياً شيخ العقل حكمت الهجري في بلدة قنوات، والثانية هي دار طائفة الموحدين الدروز في مدينة السويداء وتضم حالياً شيوخ العقل يوسف جربوع وحمود الحناوي.

8 أبرز الوجهاء الذين أبدوا مواقف معارضة للنظام في العام 2011 هم أمير دارة عرى شبلي الأطرش، والباشا عاطف هنيدي في بلدة المجدل.

9 مقابلة مع مدير شبكة «السويداء 24» ريان معروف، عبر واتس اب، آذار 2023.

10 الخدمة العسكرية في سوريا إلزامية على من بلغ الثامنة عشرة من الذكور، وتمتد لعام ونصف في الأحوال الطبيعية. منذ بداية الأحداث، احتفظت قوات النظام بمجنديها، ومنعت عنهم التسريح بعد انقضاء مدة خدمتهم. كما استدعت قوات الاحتياط لتعويض النزيف الحاد الذي تعرضت له القوات المسلحة أثناء المعارك، أو نسب التهرب العالية من الخدمة، أو بسبب الانشقاقات الكبيرة التي تعرضت لها. حاول النظام تعويض خسارته البشرية، من المقاتلين السنة، بزيادة تجنيد الأقليات. ومع حلول العام 2015، تجاوز عدد القتلى الدروز في جيش النظام، 1500 مقاتل. للمزيد انظر: مازن عزي، «دروز السويداء: جمر التنازع»، الجمهورية، 22 تموز 2015، <https://bit.ly/2XwKvcq>

11 أسس الشيخ وحيد البلعوس، وهو ضابط متقاعد، حركة رجال الكرامة للدفاع عن الطائفة الدرزية، عبر الحياض، تحت شعار «نحرم الاعتداء علينا، والاعتداء منا». للمزيد: مازن عزي، «دروز السويداء: جمر التنازع»، مذکور سابقاً.

على الجانب الشرقي من حدود السويداء، واصل تنظيم الدولة الإسلامية هجماته، وكان أكبرها المجزرة التي وقعت في تموز 2018 وخلفت 260 قتيلًا مدنيًا، و30 مخطوفًا من النساء والأطفال.¹⁷ ولم تشارك قوات النظام في السويداء، في رد الهجمات التي تصدت لها مجموعات أهلية مسلحة تعاونت وفق مبدأ الفزة.¹⁸ وقد خاض الأهالي والفصائل المحلية عملية عسكرية معقدة، تضمنت تقنيات حرب العصابات، إضافةً لتمشيط مناطق صحراوية واسعة، وسط نقص واضح في الاتصالات والأسلحة.¹⁹ وصدرت حينها تسريبات، على لسان مسؤولين سوريين، بررت عدم تدخل قوات النظام بأنه نتيجة لامتناع أبناء السويداء عن الالتحاق بالخدمة العسكرية في قوات النظام. هذه الفكرة ردها الرئيس السوري بشار الأسد، بعد شهرين، عندما أفرج تنظيم الدولة الإسلامية عن المخطوفين الدروز لديه.²⁰

فعلياً، تسبب ذلك في تنامي الشعور لدى الدروز بأنهم متروكون لوحدهم في مواجهة التنظيمات السلفية، وأن النظام يستثمر تلك الهجمات للضغط عليهم.²¹ استمر ذلك الشعور بالإنتشار على مستوى التناقل الشفوي، ولم ينتقل إلى حيز الرد السياسي المباشر، لكنه سيجد تعبيراته المختلفة لاحقاً بالتركيز على مسؤولية النظام في التسبب بالمجزرة. ويستند ذلك بشكل رئيسي، إلى معطيات عملية، إذ أن النواة الرئيسية من مقاتلي داعش الذين هاجموا السويداء كانوا قد خرجوا من مخيم اليرموك بدمشق قبل أشهر، بموجب اتفاقية مصالحة مع قوات النظام، وبرعاية روسية، إلى ريف السويداء الشرقي.²² لم يغير هجوم تنظيم الدولة الإسلامية، كثيراً في الواقع الخدمي والحوكمي في السويداء الذي كان يسوء مع مرور الوقت، لكنه كرس قناعة أهلية بشكل واسع بأن الطريقة المستقبلية للحماية من هجمات مماثلة هي بالاعتماد على مبدأ التسليح والتنظيم الأهلي للدفاع عن الذات.

الكافي، وأخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن الطائفة. حركة رجال الكرامة، كقوة أهلية مسلحة لها بعد ديني وتتخذ علناً موقفاً الحياد من الحرب السورية، تبنت المزاج الشعبي الراض للجنيد الجباري. في العام 2015، وبالتزامن مع هجوم المعارضة في درعا على مطار بلدة الثعلة العسكري غربي السويداء، ساعدت الحركة على انشقاق عدد كبير من المجندين الدروز المحتجزين في أحد معسكرات قوات النظام في المحافظة.¹²

أتاح صعود حركة رجال الكرامة مجالاً لإنتاج زعامة درزية جديدة بإطار ديني، ما مثل وقتها لمشیخة العقل، بأقطابها الثلاثة المتناقضة، خطراً على مكانتها.¹³ وبعد تصريحات قاسية للشيخ وحيد البلعوس ضد الرئيس السوري مطلع العام 2015، صدر بيان عن شيوخ العقل الثلاثة، بضغط من رئيس فرع الأمن العسكري اللواء وفيق ناصر، يطبقون فيه الحرم الديني على البلعوس وأتباعه، ويُعلنون إبعاده دينياً.¹⁴ منذ تلك اللحظة، اتخذ رئيس الفرع مقارنة أشد تصلباً أمنياً وعسكرياً في السويداء. في أيلول 2015، تم اغتيال الشيخ البلعوس، ومعظم قادة حركة رجال الكرامة، بتفجيرين؛ الأول استهدف موكب البلعوس، والثاني استهدف المشفى الوطني في السويداء بعدما نقل إليه المصابون في التفجير الأول. حملت حركة رجال الكرامة رئيس الفرع مسؤولية التفجيرين. كما وجد معظم الوجهاء الدروز ورجال الدين في التفجيرين عنفاً غير مسبوق تجاه الطائفة، وغير مبرر، في الوقت الذي تتعرض فيه السويداء لهجمات المتطرفين الإسلاميين. وقد تسبب ذلك بفتور العلاقة بين معظم وجهاء الدروز والعميد ناصر، الذي بات كثيرون منهم يخشونه فعلاً، ويطلقون عليه سراً لقب الجنرال كارييه.¹⁵ في أيار 2017، عقّد شيخا العقل جربوع والحنوي مصالحة مع قائد حركة رجال الكرامة حينذاك الشيخ رأفت البلعوس، مما تسبب بوقوع قطيعة بينهما وبين رئيس الفرع، لم تنته إلا في مطلع 2018 حينما ضغط الشيخان على النظام لتغيير قيادة الأمن العسكري في السويداء.¹⁶

12 المعسكر كان في منطقة سدّ العين جنوبي مدينة السويداء. مقابلة مع ناشط حقوقي من السويداء، نيسان 2023.

13 تضم مشیخة عقل الدروز في محافظة السويداء ثلاثة مشايخ من ثلاث عائلات، الهجري في قنوات، جربوع في السويداء والحنوي في سهوة بلاطة. والعلاقة ليست دائماً على ما يرام بينهم. خلال السنوات الماضية، حدث شرح بين أقطاب المشیخة، ويات الشيخ حكمت الهجري يوقع بياناته منفرداً بوصفه شيخ العقل الأول، بينما تحالف الشيخين الحناوي وجربوع تحت راية دار طائفة الموحدين الدروز في مقام عين الزمان في مدينة السويداء.

14 الحرم الديني هي وسيلة عقابية تستخدمها المؤسسة الدرزية الرسمية، ضد من تعتبرهم خارجين عن إجماعها من المشايخ الدروز. يتضمن الحرم إبعاد المعاقب عن المشاركة في المناسبات والشعائر الدينية، وعدم صلاة المعاقب في حال الوفاة.

15 خلال فترة الإنتداب الفرنسي على سوريا 1920-1946، تبدل على حكم السويداء أكثر من ضابط فرنسي، أحدهم الجنرال كارييه، الذي كان مشهوراً بتعامله غير اللطيف مع الوجهاء الدروز. مقابلة مع ريان معروف، مذكور سابقاً.

16 جال الشيخان على كبار المسؤولين في دمشق، برفقهم زعيم دارة عري الأمير جهاد النطرش، للضغط على النظام لتغيير العميد ناصر. للمزيد أنظر: محمود اللبابيدي، «دروز السويداء: عودة النظام المشروطة بالصراعات الإقليمية والمحلية»، تقرير مشروع بحثي (فلورنسا، إيطاليا: مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، الجامعة الأوروبية)، 1 آب 2019، <https://shorturl.at/rFU77>

17 يامن الشوفي، «السويداء: مجازر داعش المتنقلة.. وخيانة النظام»، المدن، 25 تموز 2018، <https://shorturl.at/dquyl>

18 الفزة عُرّف عشائري يتلخص بطلب جهة أهلية العون من بقية أفراد العشيرة.

19 اشترت الفصائل الأهلية المحلية السلاح من فصائل المعارضة في درعا، بتمويل ذاتي، أو تبرعات من أبناء السويداء المهاجرين، وأيضاً تبرعات الدروز في لبنان، الجولان المحتل.

20 قال الرئيس السوري حينها «أقول وبكل صراحة (...) كل واحد تهرب من خدمة الجيش، هو تهرب من خدمة الوطن، وكل واحد تهرب من خدمة الوطن يتحمل ذنباً في كل مخطوف وشهيد». للمزيد: سكاى نيوز عربية، «الأسد للدروز: لو التحقتم بالجيش ما وقعت الأمساء»، 14 نوفمبر 2018، <https://tinyurl.com/2af3cy>

21 لمحد، «مجزرة السويداء: أكثر من تواطؤ بين داعش والنظام»، 28 تموز 2018، <https://shorturl.at/opSX9>

22 مروان كيالي، «السويداء: تسأل: من فتح لداعش أبواب المحافظة؟»، درج، 25 تموز 2018، <https://bit.ly/3rrk0Q6>

الجزء الثالث: حكم العصابات 2018-2022

المسلحة والعصابات، في جولات طويلة بسيارته ضمن المدينة، يتحدثون، يتبادلون الأفكار والحلول والتحديات. وفي كل ذلك، يركز اللواء ملحم، على "سورية جهاز الأمن العسكري"، ويسهب بالحديث عن المخاطر التي تهدد وجود الدروز، والسوريين. ويبدو بأن الخطة التي طورها اللواء الملحم تتضمن بناء مجموعات درزية محلية مرتبطة بشعبة الأمن العسكري، تتلقى التمويل وتنفذ المهمات، لكن أيضاً يجوز أن يكون لها حيز من الحرية لتنفيذ أجندها المحلية الخاصة.²⁷

في الوقت ذاته، رفضت بعض المجموعات المسلحة التسوية وأسست في كانون الأول 2018 "تحالف الشريان الواحد" الذي ضم مجموعات مسلحة شبابية منشقة أو مطرودة من حركة رجال الكرامة، وبعضها له صلات بالعصابات. كانت بعض فصائل الشريان الواحد ترى في النظام خصمها الرئيسي، وكانت ترفض مسالك حركة رجال الكرامة المهادن للنظام، وتتهمها بخيانة نهج القائد البلعوس.²⁸ ولكن وجود هذا التحالف القلق من المجموعات المسلحة في المنطقة الرمادية مع عصابات الجريمة المنظمة، استهلك رصيدها الاجتماعي وجعلها تنغمس بسرعة في النشاطات غير الشرعية بحثاً عن التمويل. تعرّضت المجموعات المسلحة التي رفضت التسوية مع الأمن العسكري لحملة تصفية قادتها من قبل عصابات أخرى محلية تابعة لأجهزة الأمن، ما أدى إلى تفكيكها وقتل أبرز رموزها كما حدث في أيار وحزيران 2019 لعصابة مدينة صلخد، والتي تسبب انهيارها في تفكك تحالف الشريان الواحد.²⁹ في حين أن بعض المجموعات المسلحة والعصابات التي أجرت التسوية، انتقلت إلى مظلة وكنف النظام، وباتت تراكم الثروة والنفوذ في محيطها الأهلي، وسط استمرار أعمالها غير الشرعية، مقابل تنفيذ بعض الأجندها والأوامر الأمنية. وتضمن ذلك قيامها باعتقال مطلوبين للنظام، وضبط سوق المخدرات واحتكارها، ومهاجمة الخصوم عسكرياً. ففي حزيران 2022 هاجمت مجموعات محلية من ميليشيا الدفاع الوطني الموالية للنظام، وعصابات تابعة للأمن العسكري، مجموعة مسلحة من "قوة مكافحة الإرهاب" التابعة لحزب اللواء السوري المعارض، والمتحصنة في بلدة خازمة شرقي السويداء، ما تسبب بمقتل قائدها وأسر عناصر منها.³⁰ وحزب اللواء هو تنظيم سياسي معارض للنظام ينشط

وقّرت الظروف الاستثنائية التي عاشتها محافظة السويداء بيئةً ساعدت على نشأة ميليشيات موالية، جماعات أهلية مسلحة، ومجموعات أمنية، إضافة إلى عصابات بعضها مرتبط بالأجهزة الأمنية امتهنت التهريب بين السويداء ومناطق المعارضة المجاورة. مع تحول وتراجع دور المعارضة في درعا بعد اتفاق المصالحة في الجنوب السوري منتصف العام 2018 برعاية روسية.²³ بالنتيجة، تراجع مردود أعمال التهريب بين السويداء ودرعا، مما دفع بعض العصابات في السويداء إلى تنويع مصادر تمويلها، كتجارة السلاح، الخطف مقابل الفدية، تجارة المخدرات، السيارات المسروقة، التحطيط الجائر، وتهريب المخدرات إلى الأردن، كبداية اقتصادية. وقد نمت ظاهرة العصابات في السويداء بين العامين 2018-2022، حتى بات لبعض المدن والقرى عصابات الخاصة المعروفة باسمها. ومع الوقت طورت هذه العصابات عملها وبنيتها، وأصبح بعضها شبكات إجرامية معقدة تسيطر على مناطق واسعة، ولها أجندها الخاصة التي تتقاطع في معظم الأحيان مع الأجندها الأمنية وأحياناً تعمل بالتنسيق العلني معها.²⁴

وترافق ذلك مع تغيير مقاربة النظام الأمنية للوضع في السويداء، بغرض احتواء الغضب الأهلي المتصاعد ضد النظام بعد مجزرة داعش في العام 2018، وذلك بتعيين اللواء كفاح الملحم كرئيس لفرع المخابرات العسكرية في المنطقة الجنوبية نهاية العام 2018.²⁵ وقاد الملحم سياسة التقارب والاحتواء مع مختلف الجماعات الدرزية المسلحة بما فيهم حركة رجال الكرامة، وأيضاً العصابات. وأجرت الأجهزة الأمنية عدداً من عمليات التسوية المتتابعة للمطلوبين أمنياً، ومنهم أعضاء مجموعات أهلية مسلحة وبعض العصابات. لم تتضمن هذه التسويات تفكيك العصابات، ما أتاح لها الاستمرار بنشاطاتهم، واعطاها مجالاً أوسع للحركة عبر منح أعضائها بطاقات أمنية تتيح لهم التنقل عبر الحواجز.²⁶ ويروى عن اللواء ملحم، أنه كان يُقل بعض قادة تلك المجموعات

²³ عبدالله الجباصيني، «من متمردين إلى جنود: الفيلق الخامس في درعا، جنوب سوريا»، تقرير مشروع بحثي (بالإنجليزية)، (فلورنسا، إيطاليا: مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، الجامعة الأوروبية)، 13 أيار 2019، <http://bit.ly/2J9hx5z>

²⁴ نزار أحمد، «الخطف للفدية: العصابات تهدد السلام الأهلي في السويداء»، موجز سياسات (فلورنسا، إيطاليا: مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، الجامعة الأوروبية)، 07 آذار 2022، <https://shorturl.at/cgmSZ>

²⁵ يعتبر اللواء كفاح الملحم من الجيل القديم في ضباط النظام، ومن رعييل باسل الأسد، ابن الرئيس الراحل حافظ الأسد وشقيق الرئيس الحالي بشار الأسد، والذي قتل بجارات سيارة في العام 1994، بعدما كان يجري تحضيره لاستلام الرئاسة بعد أبيه. في 2019، أصبح اللواء كفاح الملحم رئيساً لشعبة المخابرات العسكرية في سوريا، وحافظ على اهتمامه بالسويداء التي أصبحت أحد مناطق النفوذ الرئيسية لشعبة المخابرات العسكرية.

²⁶ البطاقة الأمنية تمنح لأعضاء الميليشيات الموالية للنظام، وتتضمن تفويضاً بالقيام بمهام أمنية، وطلباً بعدم اعتراضه من قبل الحواجز. مقابلة مع قيادي في أحد المجموعات الأهلية المسلحة، آذار 2023.

²⁷ مازن عزي، «راجي فلهوط وقصة تخبط دروز سوريا»، درج، 28 تموز 2022، <https://shorturl.at/nplUX>

²⁸ زين الحلبي، «شريان الكرامة..فصائل عسكرية لمنع عودة النظام للسويداء»، المدن، 27 كانون الثاني 2019، <https://shorturl.at/cprz3> وأيضاً: زين الحلبي، «السويداء: توخّذ بشريان الكرامة.. وعصابات الجوية تتكشف»، المدن، 26 كانون الأول 2018، <https://shorturl.at/rtwz5>

²⁹ زين الحلبي، «السويداء: من اغتيال وسام العيد؟»، المدن، 3 أيار 2019، <https://shorturl.at/kszZ1>

³⁰ الأخبار، «دمشق تستيق سيناريو التوتير: عملية خاطفة في السويداء»، 11 حزيران 2022، <https://shorturl.at/hJKS2>

مدينة السويداء، وباتت القوة الفعلية المسيطرة على محافظة السويداء.

بالنسبة لقادة العصابات، خاصة راجي فلهوط، فقد حازوا بفضل الغطاء الأمني لهم، وازدهار نشاطاتهم غير المشروعة، على ثروة مكنتهم من لعب دور الوجهاء والزعماء الاجتماعيين، وتقديم الخدمات الاجتماعية والاعطيات، وتوسيع شبكات المنتفعين حولهم. ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى انتشار الفقر والجوع والبطالة على نطاق واسع،³⁵ في منطقة تعيش فوضى عارمة على مختلف الصعد، وتغيب فيها الدولة، وتعجز في كثير من الأحيان مؤسساتها عن تقديم الخدمات الرئيسية. في الوقت ذاته، تمادت العصابات في استفزاز المجتمع المحلي، وباتت تنصب الحواجز، وتعتقل خصومها وتعذبهم، وتقتلهم، أو تسلمهم للأجهزة الأمنية إن كانوا مطلوبين لها.³⁶ كما تحولت السويداء في هذه المرحلة، بفضل العصابات، إلى معبر رئيسي لتهريب المخدرات إلى الأردن، وأيضاً إلى سوق تصريف محلية لها خاصة بين الشباب والمراهقين.³⁷ في تموز 2022، خطفت عصابة فلهوط بعض أبناء مدينة شهباء، متهمه إياهم بتدبير محاولة مزعومة لاغتيال قائدها. وتسبب ذلك بانتفاضة محلية جديدة ضد عصابة فلهوط، شاركت فيها مجموعات محلية مسلحة من مختلف مناطق السويداء، ومنها بيارق من حركة رجال الكرامة، وقامت بمهاجمة مقرات فلهوط في بلدة عتيل، وتصفية جماعته وإنهاء عصابته، بدعم من شيخ العقل حكمت الهجري.³⁸

الجزء الرابع: هدوء ما قبل العاصفة 2022-2023

وحدت الانتفاضة الأهلية المسلحة التي أطاحت بعصابة راجي فلهوط من نشاط بقية العصابات مؤقتاً، فوجد النظام نفسه محرجاً مع فشل مشروع الاعتماد على العصابات في السيطرة على المنطقة. أعاد النظام في هذه المرحلة تفعيل صلاته ببعض ممثلي القوى التقليدية الدرزية الموالية له، بغرض تمكينها لاستعادة دورها في مجتمع الدروز، وممارسة دور الوساطة بين المجتمع المحلي وبين السلطات بدمشق.

³⁵ بحسب الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش فإن 9 من كل 10 سوريين يعيشون تحت خط الفقر. وقال إن أكثر من 15 مليون سوري، أي 70% من إجمالي عدد السكان، يحتاجون إلى المساعدات الإنسانية. انظر: موقع الأمم المتحدة، «معاينة تتحدى الوصف، بعد 12 عاماً من الصراع في سوريا»، 15 حزيران 2023، <https://tinyurl.com/4um7efxn>

³⁶ نزار أحمد، «الخطف للفدية: العصابات تهدد السلم الأهلي في السويداء»، مذکور سابقاً.

³⁷ جوزيف ظاهر ونزار أحمد وسلوان طه، «التهريب بين سوريا ولبنان، ومن سوريا إلى الأردن: تطوره وشبكات المحلية»، تقرير بحثي (فلورنسا، إيطاليا: مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، الجامعة الأوروبية)، 19 نيسان 2022، <https://shorturl.at/ELWX7>

³⁸ مازن عزي، «راجي فلهوط وقصة تخيط دروز سوريا»، مذکور سابقاً.

في السويداء، يعرف عن أتباعه الميل لفكرة الإدارة الذاتية في السويداء، ويتمهم النظام بالتعامل مع قوى خارجية.³¹

لكن باتت العصابات المدعومة بالغطاء الأمني، عبئاً ثقيلًا على مجتمعاتها المحلية، وأحياناً على فرع الأمن العسكري، إذ تسببت نشاطاتها الجرمية بوقوع حوادث عنيفة ودموية وهددت السلم الأهلي أكثر من مرة.³² كما وصل الوجهاء التقليديون ورجال الدين إلى مرحلة عجزوا فيها عن ضبط الفوضى التي تخلفها العصابات ضمن الوسائل المجتمعية المتاحة؛ كالحرم الديني والابعد الاجتماعي، واستخدام الروابط العائلية، والقضاء العشائري.³³ في المقابل، عانت حركة رجال الكرامة في هذه المرحلة من تراجع في نشاطاتها وقدرتها على الحضور، بسبب الطبيعة الأهلية والعائلية للنزاعات، وسط صعوبة اتخاذ القرارات، وعدم رغبة الحركة بالتورط في سفك الدم، وهي التي تحمل شعار حماية الطائفة. وكانت الحركة قد تلقت نكسة معنوية في الشارع الدرزي في معارك عام 2020 التي نشبت بين أهالي وفصائل بلدة القريا، الواقعة جنوب غرب السويداء، وبين اللواء الثامن المدعوم روسياً في مدينة بصرى الشام بدرعا، على خلفية قضية خطف تطورت إلى استيلاء اللواء الثامن على مساحات واسعة من أراضي بلدة القريا. حينها رفض قائد الحركة التدخل الفاعل في المعركة، بعدما تلقى وعداً من مسؤول سوري رفيع بالتدخل لوقف هجوم اللواء الثامن، وهذا ما لم يحدث، ما تسبب بخسارة المقاتلين الدروز للمعركة.³⁴

في ظل كل تلك الفوضى وغياب الدولة، تصاعدت ردود الفعل الأهلية ضد مسالك العصابات، واتخذت شكل انتفاضة شعبية ضد عصابة شهباء في تموز 2021، بعد اغتيالها لأحد النشطاء المعروفين في المدينة، ما تسبب بتفكيك العصابة وطرد عناصرها من المدينة. في حين أن عصابة بلدة عريقة التي سبق وأجرت تسوية أمنية أكثر من مرة، تجاهلت كل التحذيرات الأمنية وزادت وتيرة عمليات الخطف التي تنفذها على أجزاء من طريق دمشق-السويداء، كما استهدفت ضباطاً من الجيش والأجهزة الأمنية. في أيلول 2021، نجحت حملة أمنية شاركت فيها قوات من الجيش السوري في تفكيك عصابة عريقة. بتفكيك هاتين العصاباتين، تركزت القوة والموارد في يد عصابة عتيل التي يترأسها راجي فلهوط، وعصابة

³¹ أحمد جمال، «حزب اللواء السوري.. كيان سياسي يبصر النور في السويداء وهذه أجنادته»، أورينت نيوز، 11 تموز 2021، <https://tinyurl.com/mw27wyxj>

³² زين الحلبي، «السويداء وصلح على خط الاشتباك»، المدن، 16 نيسان 2019، <https://shorturl.at/acoEP>

³³ زين الحلبي، «السويداء: بين الخال واللواء الملحم.. ضاع الدفاع الوطني»، المدن، 28 كانون الأول 2019، <https://shorturl.at/evyCU>

³⁴ Abdullah Al-Jabassini and Mazen Ezzi, «Tribal 'Sulh' and the Politics of Persuasion in Volatile Southern Syria», Research Project Report (Florence: European University Institute, Middle East Directions, Wartime and Post-Conflict in Syria, March 2021), <https://shorturl.at/cPX38>

تحسن الوضع الأمني نسبياً بعد انتفاضة الأهلية المسلحة، وتراجعت حدة عمليات الخطف والسرقة، إذ خشيت العصابات من ملاقاته مصير عصابة فلاحوط. ولكن، ولأن المجموعات الأهلية المسلحة، والزعماء والوجهاء، لا يمتلكون وسائل عقابية ورقابية مستدامة، ولا منظومة أمنية وقضائية وسجون، فقد عادت الفوضى بعد شهور، لكن العصابات حرصت هذه المرة على عدم الظهور العلني المستفز، وإبقاء نشاطاتها غير الشرعية في الظل قدر الإمكان.

في هذه المرحلة ظهرت بشكل جلي للسكان درجة الانهك التي وصلتها مؤسسات الدولة الرسمية، وعجزها عن تأمين الخدمات الرئيسية لهم؛ إذ أن النقص الحاد في المحروقات شل حركة التنقل بين أرجاء المحافظة وتسبب بغياب التدفئة عن البيوت والمدارس. كما أن الانقطاعات الطويلة للتيار الكهربائي عطلت العمل في المؤسسات الرسمية، وتسببت بانقطاع الاتصالات والانترنت. زاد غياب الكهرباء والمحروقات أيضاً من الأعطال التقنية للمضخات المركبة على آبار الماء، وسط غياب قطع التبدل، وفاقم ذلك من حدة أزمة مياه الشرب في المحافظة. كما انتشر التحطيم الجائر حتى للشجر المثمر، وسط تراجع قدرة الفلاحين على حراثة الأرض وزراعة المحاصيل الموسمية. في ظل هذه الظروف المركبة، ازدادت وتيرة الاحتجاجات نهاية العام 2022، وباتت يومية تقريباً، يقطع فيها المحتجون الطرقات الرئيسية، أو يغلقون الدوائر الرسمية ويمنعون الموظفين من دخولها، ويحتجزون صهاريج المحروقات القليلة المخصصة للمحافظة ويصادونها لتشغيل مقاسم الاتصالات اللاسلكية ومضخات المياه. رافق ذلك التواتر اليومي والموضعي للاحتجاجات موجات احتجاجية مطلية واسعة النطاق على امتداد المحافظة، مثل حملة «بدنا نعيش» و التي ظهرت في العام 2020 رداً على انهيار قيمة صرف الليرة السورية وتدهور الأوضاع الاقتصادية،⁴³ وموجة باسم «خنقتونا 2021»،⁴⁴ كما شهدت المدينة موجة جديدة من الاحتجاجات أعقبت صدور قرار برفع الدعم عن المواد الأساسية مطلع العام 2022. في تلك الموجات الاحتجاجية التي دام كل منها بضعة أسابيع، شاركت فئة الشباب بكثافة، معبرة بشكل رئيسي عن انعدام آفاق المستقبل المتاحة أمامها، لجهة العمل، الأمن، العيش الكريم.

هذا الاستياء المتصاعد من مؤسسات الدولة وجد تعبيره الأبرز باقتحام مبنى محافظة السويداء يوم 4 كانون الأول 2022، والذي شاركت فيه بعض الفصائل الأهلية المسلحة الصغيرة، والمئات من الشباب غير المنظمين في أي قوى سياسية أو أهلية أو مسلحة.

وفي السويداء بنية حوكمية تقليدية متوارثة، تقوم على زعامتين متقاطعتين ومتوازيتين، الأولى منهما تغطي الفضاء الديني وتسمى «روحية» وينتظم فيها رجال الدين الدرور عبر مؤسستين؛ الرئاسة الروحية للموحدين الدرور في بلدة قنوات والتي يرأسها حالياً شيخ العقل حكمت الهجري، ودار طائفة المسلمين الموحدين الدرور في مدينة السويداء ويرأسها حالياً شيخ العقل يوسف جربوع وشيخ العقل حمود الحناوي. بينما تغطي الزعامة الثانية المجال الأهلي غير المتدين لمجتمع الدرور وتسمى «زمنية»، وتضم إمارتين، وبضعة باشويات وزعماء العائلات.³⁹ اعتمدت المقاربة الجديدة للنظام فقط على بعض أولئك الوجهاء ورجال الدين؛ وأبرزهم شيخ العقل يوسف جربوع في مدينة السويداء، والأمير لؤي الأطرش في بلدة عري، وأيضاً وبشكل رئيسي رئيس مكتب الاقتصاد في فرع حزب البعث في السويداء حسن الأطرش.⁴⁰ لم تتضمن هذه المقاربة إعطاء هؤلاء الوجهاء صلاحيات جديدة، بل حصر بهم قنوات التواصل بين السلطة بدمشق وبين المجتمع الأهلي. وهذه العملية تعتبر امتيازاً لأولئك الوجهاء، خاصة لجهة مساعدتهم الأهالي في إطلاق سراح موقوفين لدى الأجهزة الأمنية، أو منحهم تفويضا جوالاً لملاحقة بعض أعضاء العصابات.⁴¹

كما أعطى النظام مساحة إضافية لحركة رجال الكرامة، التي استعادت دورها كأبرز وأكبر قوة أهلية مسلحة ومنظمة، وتحركت لضبط بعض العصابات الصغيرة بغطاء أهلي. ترافق ذلك مع تراجع دور الأمن العسكري، لصالح جهاز أمن الدولة، الذي عرض عبر قائده اللواء حسام لوقا، عملية تسوية جديدة للمتخلفين عن الخدمة العسكرية والمطلوبين أمنياً في السويداء، من دون نتائج بارزة.⁴² استمر الرفض الشعبي للتجنيد الاجباري، من دون قدرة الدولة على فرضه لضعف سيطرتها على الأرض، وانتشار السلاح، ووجود مجموعات مسلحة أهلية باتت ترد على أي عملية اعتقال بنصب الحواجز وتوقيف ضباط الجيش لمبادلته بالمعتقلين.

39 إماره لال الأطرش في بلدة عري، وإماره لال عامر في بلدة عمرة، وبضعة باشويات أبرزها باشوية مدينة السويداء لال الأطرش، وباشوية لال هنيدي في بلدة المجدل.

40 باشوية مدينة السويداء هي لأبو محمد إسماعيل الأطرش، الذي تعرض للسجن في العام 1966، بسبب موقفه المحايد خلال الصراعات بين الأجنحة البعثية المتقاتلة على السلطة، وتقي على أثرها خارج سوريا حتى التسعينيات. في الوقت ذاته، عمل النظام على تكريس ابن عمه أبو حسن عبدالله الأطرش، كزعيم لمدينة السويداء وأعطى مقعداً دائماً في مجلس الشعب. عضو قيادة فرع حزب البعث حسن الأطرش هو ابن عبدالله الأطرش، والذي يحاول النظام تكريسه كزعيم لمدينة السويداء.

41 السويداء 24، «السويداء: حملة لفصائل المدينة بغطاء من دار عري»، 13 اب 2023، <https://tinyurl.com/brucumas>

42 فرضت السلطات على المتهربين من الخدمة العسكرية، تسوية أمنية، في 5 اكتوبر 2022، تضمنت منح تأجيل إداري لمدة 6 أشهر قبل الالتحاق بقطع الجيش المنتشرة جنوبي سوريا. ولأن التسوية ماثلة لتلك التي يجريها المطلوبون أمنياً، اعتبر كثير من الدرور أنفسهم غير معنيين بها لأنهم ليسوا خارجين عن القانون. فعلياً لم يشارك في التسوية الأخيرة سوى 2500 شاب من أصل 30 ألف مطلوب للخدمة العسكرية ومنشق عن الجيش في السويداء. والدافع الأبرز لإجراء التسوية، هو الحصول على «بطاقة التسوية» التي تتيح لحاملها التنقل بحرية، واستخراج وثائق سفر، من دون الخوف من التوقيف والاعتقال. للمزيد انظر: مازن عزي، «ما الجديد في احتجاجات السويداء جنوبي سوريا؟»، موجز سياسات (فلورنسا، إيطاليا): مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، الجامعة الأوروبية، 8 كانون الأول 2022، <https://shorturl.at/gwEMO>

43 مازن عزي، «احتجاجات السويداء: مقدمة لثورة سورية جديدة؟»، موجز سياسات (فلورنسا، إيطاليا): مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، الجامعة الأوروبية، 12 حزيران 2020، <https://shorturl.at/kuz46>

44 صفحة فيسبوك لحملة خنقتونا، في آب 2021، <https://tinyurl.com/2p98wy7r>

وانغلاق أفق الربيع العربي ذاته على المستوى الإقليمي،⁴⁷ وسط إدراك عام بأن النظام لم يعد قادراً على الاستجابة للمطالب المعاشية والخدمية والسياسية.⁴⁸

اتخذ الحراك الاحتجاجي من ساحة الكرامة في مدينة السويداء موقفاً رئيسياً للتظاهرات السلمية.⁴⁹ ورفعت الاحتجاجات شعاراً رئيسياً وهو إحداث انتقال سياسي في سوريا، عبر عملية تقودها الأمم المتحدة تطبيقاً لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2254 لعام 2015، والقرارات الدولية ذات الصلة.⁵⁰ وقد حظي الحراك مباشرة، بدعم واضح اتخذته الرئاسة الروحية للموحدين الدروز عبر شيخ العقل حكمت الهجري، وشيخ العقل حمود الحناوي، ما منح الحراك مظلة رمزية حمائية. كما شهدت الاحتجاجات حضوراً نسبياً فاعلاً ومميزاً على صعيد التحشيد، التنظيم والقيادة، في مشهد قل نظيره في جميع الاحتجاجات السورية السابقة.⁵¹

في هذه المرحلة، اختار النظام سياسة التجاهل الرسمي لما يحدث، مع محاولة لاحتواء الأوضاع وتخفيف حدة الاحتقان في الشارع من دون تقديم أي تنازل له محتوى سياسي. إذ لا يبدو النظام في موقع القادر عسكرياً ولا الراغب في مواجهة احتجاجات السويداء، وسط ترجيحات بأن تكون كلفة قمع الاحتجاجات عسكرياً أكبر من كلفة عزلها وخنقها، والعمل على شقها داخلياً ومنع اتصالها ببقية المناطق السورية. مواجهة الدروز بالعنف تقوض كامل سرديّة النظام عن الحرب ضد الإرهاب الإسلامي المتطرف. فالدروز تحالف قبلي، يُدينُ بمذهب باطني مغلق، غير معروف عنهم الجهاد ولا التبشير ولا الرغبة في التمدد والتوسع.⁵² والدولة السورية بشكلها الراهن باتت عبئاً ثقيلاً عليهم، تقطع من تحويلات مغتربهم، وتحاصر فلاجهم بشركات التجزئة التابعة لها لشراء محاصيلهم بأسعار بالكاد تغطي تكاليف العملية الإنتاجية.⁵³

وقد تسببت المواجهات مع القوى الأمنية، والتي استخدمت الرصاص الحي في قمع المحتجين، في اندلاع أعمال عنف وتخريب للممتلكات العامة، ومقتل متظاهر واحد، وإصابة العشرات بجروح، في حادثة كانت الأولى من نوعها في السويداء منذ العام 2011.⁴⁵

ولا يبدو أن لدى مؤسسات الدولة الموارد الكافية لتحسين الأوضاع المعيشية، ولا لتخفيف حدة أزمة المحروقات والكهرباء والماء، ولا لتخفيف من آثار التغييرات المناخية على المنطقة. بل أن تلك المؤسسات بدأت تعتمد أكثر على المبادرات الأهلية لحل المشاكل والأزمات. فالأهالي، وتحت ضغط الحاجة، بدأوا بجمع التبرعات لتمديد خطوط كهرباء معفاة من التقنين «خطوط ذهبية» إلى أبار الماء، وشراء الغطاسات للمضخات وإصلاح التالف منها. لا بل أن الأهالي بدأوا يؤمنون الوقود الكافي لتشغيل الآليات الثقيلة التي تملكها المؤسسات العامة الخدمية، ويدفعون الرشوى للموظفين والمدراء لتشغيلها، فقط للقيام بعملهم وإصلاح أو تشغيل المتعطل من المضخات أو محطات التقوية للاتصالات أو محولات الكهرباء. حتى أن المدارس باتت تطلب من ذوي الطلاب التبرع بالأوراق لإجراء الامتحانات الرسمية. ومع ذلك، يرفض النظام إعطاء أي امتيازات للمبادرات الأهلية. بل تُجبر كل المبادرات والمساعدات لصالح مؤسسات الدولة، التي تفرض على المتبرعين بالآليات والمعدات، التوقيع على وثائق تفيد بملكية مؤسسات الدولة لها وحريتها بطريقة استخدامها. لذلك، ما زال الوضع الخدمي ممسوكاً بيد مؤسسات الدولة رغم فشلها بتقديم الخدمات الضرورية والفساد الذي يعترها.⁴⁶

الجزء الخامس: ساحة الكرامة

في نهاية آب 2023، انتفض الناس في محافظة السويداء مجدداً، وبدأوا حراكاً سلمياً غير مسبوق، إن كان على صعيد المشاركة الأهلية الواسعة من شرائح جديدة كانت على الحياد طيلة السنوات الماضية، أو على صعيد الشعارات السياسية المعارضة للنظام. الحراك، الذي جاء رداً على قرار حكومي بتحرير الأسعار، انتقل مباشرة من التركيز على القضايا المطالبية المعاشية إلى نقد سياسات النظام السوري وذلك بتحميله أسباب جميع المشاكل الراهنة في سوريا، وبكونه المستفيد الوحيد منها. بالنسبة للكثيرين، جاءت الاحتجاجات كاستمرار لثورة العام 2011 لأن مطالبها أخذت طابعاً سياسياً، ولانغلاق أفق الثورة السلمية والتغيير السياسي على المستوى المحلي،

47 ماهر مسعود، «انتفاضة السويداء: الثورة الثالثة»، الجمهورية، 7 أيلول 2023، <https://tinyurl.com/5bc9sv2f>

48 شوكت غز الدين، «الإضراب السوري العام التحديات والخيارات والاتفاق»، ميسلون، غير مؤرخ، <https://tinyurl.com/mtddf8bp>

49 كرم منصور، «حكاية ساحة صار اسمها الكرامة»، الجمهورية، 14 أيلول 2023، <https://tinyurl.com/37mfwnwya>

50 موقع الأمم المتحدة، القرار 2254 لعام 2015 الذي اتخذته مجلس الأمن في جلسته 7588 المعقودة في 18 ديسمبر 2015، <https://tinyurl.com/5dbvce4j>

51 ليانة غزلن، «نزّلن ليهتفن للحرية»، الجمهورية، 19 أيلول 2023، <https://tinyurl.com/2fz37hy8>

52 طائفة الموحدين الدروز، هي ما تبقى من تحالف عشائري مسمى بـ«تنوخ» عُقد في القرن الثاني الميلادي بين بضعة قبائل عربية، وتمكن من تشكيل هوية إنئية خاصة به بعد تبنيه الدعوة التوحيدية في عهد الدولة الفاطمية في القرن الحادي عشر للميلاد. للمزيد انظر كتاب عباس أبو صالح وسامي مكارم، «تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي»، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والاندما، بيروت، 1981. انظر صفحة 37-47.

53 مازن عزي، «سوريا. في السويداء، احتجاج سلمى رغم تركة الحرب الثقيلة»، أوريان 21، 19 أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/5exa6utu>

45 مازن عزي، «ما الجديد في احتجاجات السويداء جنوبي سوريا؟»، مذکور سابقاً.

46 مقابلة مع وجيه اجتماعي، شباط 2023.

القوى الأمنية حماية مؤسسات الدولة، مع إدانة شكل الاحتجاج السياسي القائم حالياً وآلياته. ولقي ذلك الطلب استياءً شعيباً واسعاً واتهامات لمجلس المحافظة بعدم شرعيته وأن أعضاءه قد تم اختيارهم بالتزكية من حزب البعث، في انتخابات صورية جرت في العام 2022.⁶¹ وفي السياق نفسه، دعا عضو قيادة فرع حزب البعث حسن الأطرش، إلى اجتماع أعيان مدينة السويداء في مضافة آل الأطرش، وبحضور شيخ العقل يوسف جربوع، في 23 أيلول، بغرض اتخاذ موقف مؤيد للنظام تجاه ما يحدث في الشارع. لكن الاجتماع شهد آراءً متباينة، ولم يحضره جميع زعماء عائلات السويداء، وخرج ببيان يعترف بمطالب الناس المحقة لكنه يضع ملاحظات قاسية على شكل احتجاجهم.⁶² أمر مماثل حدث مع بيان أصدره الأمير لؤي الأطرش، واتهم بشكل موارب بأن جهات أجنبية تقف وراء الاحتجاجات لكنه طالب الحكومة والسلطة التشريعية بتأمين العيش الكريم لكل أبناء سوريا، وحمّلهما مسؤولية التقصير في تلبية حاجات الناس.⁶³ في 5 نوفمبر 2023، أعلن جزء من المشاركين في الاحتجاجات، إضراباً عاماً في المحافظة.⁶⁴ ولكن الاضراب فشل في وضع أهداف واضحة له، كما فشل في حشد حتى بقية المحتجين بالمشاركة فيه، ما تسبب بانفراطه بسرعة. وبعد ذلك، اجتمع بعض ممثلي فصائل مسلحة موالية للنظام في مدينة السويداء، مع شيخ العقل يوسف جربوع، وعرضوا للمرة الأولى رغبتهم الصريحة بوقف هذه الاحتجاجات، أو ضبطها، وسط تحذيرهم من إمكانية وقوع صدمات أهلية.⁶⁵ ورغم صعوبة تخيل ذلك، إلا أن إمكانية حدوث صدمات أهلية بين الطرفين ليست معدومة.

الملفت أنه خلال هذه الفترة من الاحتجاجات، تراجع مستوى الجريمة، الانتحار، الخطف للقدية، وتهريب وتجارة المخدرات عبر الحدود، في السويداء، إلى مستويات مقلّعة. على سبيل المثال، خلال الفترة الممتدة بين آب وأيلول وتشرين الأول 2023، انخفض متوسط عدد القتلى في حوادث عنيفة ذات طابع جرمي أو أمني، من 10 إلى 5 شهرياً.⁶⁶ في الوقت ذاته، ازداد بشكلٍ غير مسبوق القطع الجائر للأحراش التي أخلتها بعض الوحدات العسكرية من

لم يقم بزيارة المحافظة أي مسؤول رسمي في الحكومة السورية ولم يصدر أي تصريح رسمي. كما لم تغط وسائل الإعلام الرسمية أخبار الاحتجاجات في السويداء رغم نزول الآلاف إلى الشوارع، وتحطيم تماثيل الرئيس الراحل حافظ الأسد، وإزالة صور الرئيس بشار الأسد من معظم المؤسسات الحكومية، وإغلاق مقرات حزب البعث في المحافظة.⁵⁴ حرص النظام على عدم حدوث مواجهات عنيفة، وأعاد تموضع قواته العسكرية في المحافظة وسحب بعض الحواجز الأمنية.⁵⁵ وتكفل بالتعليق العلني على الأوضاع في السويداء مجموعة من الموالين للنظام الناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي، الذين انتجوا محتوى يركز على اتهام الدروز بالطائفية والخيانة والعمالة للخارج. ومن أكثر الظواهر التي ركز عليها أولئك المعلقون كانت رفع المحتجين في السويداء لراية «الحدود الخمسة» كرمز جامع للطائفة الدرزية، والذي اعتبره تحدياً مباشراً لمركزية الدولة السورية وايدولوجيتها عن الوحدة الوطنية.⁵⁶

ترافق التجاهل الإعلامي الرسمي، مع بعض الأدوات الاقتصادية لاحتواء الحراك، ومنها رفع الموازنة الاستثمارية لمحافظة السويداء للعام 2024، من 15 إلى 75 مليار ليرة سورية،⁵⁷ والإسراع في استلام شركة التجزئة لمنتجات الفلاحين ودفع مستحقاتهم، وإصلاح بعض آبار الماء المعطلة وتحسين وضع الكهرباء نسبياً.⁵⁸ بينما الأداة الأبرز التي استند إليها النظام، كانت زيادة الاعتماد على شبكة الوجهاء ورجال الدين الموالين له بين الدروز في السويداء وأيضاً في ريف دمشق والقنيطرة ولبنان، في محاولة لاحتواء النفوذ المتصاعد لشيخ العقل حكمت الهجري الذي ظهر كموجه وقائد الحراك الاحتجاجي.⁵⁹ وفي لحظات متعددة بدا وكأن في هذه السياسة محاولة لإثارة صراع أهلي ضمن فكرة شارع ضد شارع.⁶⁰ لكن، ظهر أن حجم الازدحام الأهلي حول أولئك الوجهاء ليس كبيراً، خاصة عندما أصدرت بيانات أو قاموا بمواقف مؤيدة للنظام. مثلاً، طلب مجلس محافظة السويداء، في بيان له في 12 أيلول، من

54 مازن عزي، «هل تأخّرت ثورة السويداء؟»، العربي الجديد، 1 أيلول 2023، <https://tinyurl.com/2s44ykt6>

55 جرت حادثة واحدة لاطلاق النار في 13 أيلول، عندما حاول محتجون سلميون اقتحام مقر فرع حزب البعث الحاكم في السويداء، ما أسفر عن إصابة شخصين بجروح.

56 راية الموحدين الدروز «الليبري» مؤلفة من خمسة ألوان لكل منها دلالة للمزيد: عمر الأسد، «أيام العرب في السويداء: هل سيحسم الجيل حرب الرابات السورية؟»، حيز، 12 أيلول 2023، <https://tinyurl.com/3j74xj4v>، انظر أيضاً: مجد الغطريف، «علم السويداء: احتضاناً للتنوع أم تصنيغاً للاختلاف؟»، أوان، 3 أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/u3nj9zks>

57 عبير صيموعة، «زيادة كبيرة للموازنة الاستثمارية في السويداء من 15-75 مليار ليرة عام 2024 ... عضو مكتب تنفيذي: حصلنا على 710 ملايين الشهر الفائت لإعانة من الإدارة المحلية»، الوطن، 4 أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/2cf9bkuz>

58 على سبيل المثال: سانا، «بتكلفة 438 مليون ليرة... وضع مركزي تحويل كهرباء في السويداء»، 17 أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/4fuhjrs8>، وأيضاً: سانا، «تحويل الدفعة الثالثة لأثمان الغصيري بالسويداء بقيمة مليار ليرة»، 9 أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/2w9vm645>

59 مازن عزي، «هل تُفضي انتفاضة السويداء إلى سوريا جديدة؟»، الجمهورية، 15 أيلول 2023، <https://tinyurl.com/3vnmufax>

60 مازن عزي، «هل تُفضي انتفاضة السويداء إلى سوريا جديدة؟»، مذکور سابقاً.

61 زياد عواد، «انتخابات المجالس المحلية في سوريا ٢٠٢٢: المزيد من تجرّد شبكات النظام»، تقرير مشروع بحثي (فلورنسا، إيطاليا): «مشروع زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، معهد الجامعة الأوروبية، 9 يناير 2023، <https://tinyurl.com/3jza5ccp>

62 السويداء 24، «محاولات بعثية للالتفاف على حراك السويداء»، 23 أيلول 2023، <https://tinyurl.com/3baxwpp5>

63 صفحة فيسبوك لؤي الأطرش، «بيان دار عري»، 3 أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/vuzj7wdx>

64 أبرز الداعين للاضراب كانوا بعض أعضاء فصائل أهلية مسلحة، اتخذت دوراً بارزاً في حماية الاحتجاجات.

65 على الأقل، أحد الحاضرين في الاجتماع، معروف بقيادةه لعصابة أمنية تحظى بدعم الأمن العسكري.

66 السويداء 24، «تحقيق: السويداء 24 ترصد العنف والانتهاكات في الشهور الثلاثة الماضية»، 10 نوفمبر 2023، <https://tinyurl.com/4zjx7m3f>

السويداء، وزادت الجفاء بين مجتمع الدروز وبين النظام. كما أن انخفاض حدة العنف ومخاطره، سمحت للدروز بالتعبير العلني عن رفضهم لاستمرار الاستعصاء السياسي وتدهور الأوضاع المعيشية، كما بات ظاهراً في الاحتجاجات الأخيرة.

ورغم تجاهل النظام للحراك الراهن فإن السقف السياسي المرتفع لمطالب المحتجين قد يصبح عائقاً أمام تحقيقها. إذ تصر كتلة رئيسية في الحراك على أن الحل الوحيد هو تطبيق القرار الدولي رقم 2254، وتغيير النظام سلمياً في سوريا.⁷⁰ وترفض هذه الكتلة أي مقارنة محلية لتفعيل المؤسسات والخدمات، أو تقديم نموذج حوكمة محلي جديد في المحافظة، تخوفاً منها من الاتهامات بشبهة الميل لفكرة الإدارة الذاتية أو الانفصال. وهذا ربما ما أعاق نسبياً الانتقال إلى تنفيذ حملات سلمية للضغط على مؤسسات الدولة لتحقيق بعض المطالب المعيشية الملحة لحل أزمت ماء الشرب، الكهرباء، التكييف الملح مع التغير المناخي، وكذلك إلغاء الخدمة العسكرية الإلزامية لأبناء المحافظة التي تعيق تحركهم، والموافقات الأمنية المسبقة على معظم المعاملات الرسمية.

ستعيق الصعوبات التمويلية التي تعيشها مؤسسات الدولة إمكانية استعادة النظام السيطرة على السويداء في ظل المزاج الشعبي المعارض له. كما أن محاولات تحويل المواجهة إلى «شارع ضد شارع»، لن تقود إلا للمزيد من التوترات الأهلية من دون أي بحث جدي عن طرق لحل الانسداد الراهن. وفي ظل الاستعصاء السياسي على الساحة السورية، وغياب أي مقارنة جديّة من النظام للحل السياسي، يبدو بأن الحراك الاحتجاجي في السويداء سيواجه سريعاً مجموعة تحديات رئيسية ليس أقلها أزمت الفقر، قلة موارد مياه الشرب والري وتراجع مردود الزراعة كنتائج للتغير المناخي، وأيضاً تعطل مؤسسات الدولة، تغول العقليّة الأمنية للنظام، انتشار النشاطات الاقتصادية غير المشروعة، وتفشي المخدرات والجريمة. وفي هذه الحالة، يتوجب على الحراك التفكير بحلول جديّة تتعلق بإيجاد مبادرة جديدة للحكومة المحلية، عبر الدفع باتجاه إجراء تعديلات جوهرية على قانون الإدارة المحلية رقم 107 لعام 2012، تضمن انتخاب المحافظ وأمين سر المحافظة محلياً، وتقييد صلاحيات السلطة التنفيذية في حل وتشكيل مجالس الإدارة المحلية، وأيضاً في توسيع صلاحيات هذه الإدارات المحلية لتكون مسؤولة عن عمل مؤسسات وشركات القطاع العام في مناطق انتشارها.

قوات النظام ضمن خطة دفاعية لإعادة انتشارها. هذه الخسارة كبيرة لا تُعوّض، في منطقة على كُتف الصحراء، وفي ظل ظروف التغيير المناخي المُهدّدة للبقاء والوجود.⁶⁷

مع تطور الأحداث الإقليمية واندلاع الحرب في غزة، واصل النظام تجاهل السويداء واحتجاجاتها، عبر احتوائها مكانياً وعزلها عن بقية مناطق سيطرته. هذا الخيار جاء مناسباً للنظام، الراغب بخفض التصعيد في ظل وجود العديد من القوى العسكرية الأجنبية على الأراضي السورية، وسط احتمالات مرتفعة لإمكانية حدوث مواجهات واسعة بينها.⁶⁸ بينما وجد الحراك الاحتجاجي بدوره، والذي عانى من انخفاض التغطية الإعلامية له، فرصة للازدهار والتجذر أكثر. إذ بات التنظيم الداخلي للاحتجاجات من أهم الخطوات المطلوبة، كما بدأت المطالب المعيشية والخدمية تظهر على السطح بشكل أوضح على حساب المطالب السياسية مرتفعة السقف والمطالبة فقط بتغيير النظام وتطبيق القرار الدولي 2254. وترافق كل ذلك مع توجه أهلي، خاصة في القرى البعيدة عن المركز، لأخذ زمام المبادرة، على صعيدي التنظيم والإدارة المحلية، وتشكيل هيئات مدنية شعبية تعمل على مراقبة أداء المجالس البلدية، والضغط الأهلي على مؤسسات الدولة للتجاوب وتنفيذ بعض الاستحقاقات الأكثر ضرورة، من إصلاح بعض الآبار، وتأمين الكهرباء للمضخات، وتوزيع المحروقات المخصصة للتدفئة على الناس. الأمر لم يكن ذاته في المراكز الحضرية الكبيرة، خاصة في مدينة السويداء، حيث بقيت لغة الاحتجاج سياسية مرتفعة السقف. ومع ذلك، شهد حراك السويداء نقلة سياسية نوعية، مع تشكل العديد من الأحزاب والقوى السياسية الجديدة، وبعض التجمعات المهنية ذات الطابع النقابي كُتجمع المهندسين الأحرار، والمحامين الأحرار، وأيضاً تجمع المعتقلين السياسيين والمفصولين قسرياً من وظائفهم.⁶⁹

خاتمة: قراءة في الأفق المستقبلية المتوقعة

لظروف خاصة بكل منهما، يعامل النظام السويداء بطريقة تجمع بين الاحتواء والقمع والتجاهل. وقد مرّت هذه العلاقة المضطربة بين الطرفين، بمطبات عديدة ما بين العامين 2011-2023، كرّست حياد

67 مازن عزي، «هل تُفضي انتفاضة السويداء إلى سوريا جديدة؟»، مذکور سابقاً.

68 فعلياً، دخلت المليشيات الإيرانية العاملة في سوريا في صدامات عسكرية محدودة مع القوات الأميركية في الأراضي السورية، وأيضاً في اشتباكات أقل حدة على جبهة الجولان مع إسرائيل. كما تصاعد التوتر بين قوات النظام والفصائل المعارضة المدعومة من تركيا شمال غربي سوريا،

69 ليث أبي نادر، «تظاهرات السويداء تضم نقابات جديدة في جمعة الثبات»، العربي الجديد، 10 نوفمبر 2023، <https://tinyurl.com/46xw6w34>

70 جمال الشوفي، «مظاهرات السويداء في سوريا تؤكد الضرورة الملحة إلى الحل السياسي»، معهد الشرق الأوسط، 4 أكتوبر 2023، <https://tinyurl.com/mr3hnr26>

يمكن لإدارة محلية مماثلة، البدء بخطة نوعية للتحويل نحو الطاقة البديلة لتحقيق نوع من الاستقلالية الطاقية، وتقليل الاعتماد على مخصصات المحروقات من دمشق. تحول مماثل، مدعوم من شركاء دوليين ومحليين ومغتربي السويدياء، قد ينتقل بدوره إلى تنفيذ برامج تنمية مستدامة تدعم سبل عيش المجتمع المحلي، وتحمي بيئته، وتقلل من منسوب الهجرة. ورغم المعوقات الراهنة أمام تحول مماثل، إلا أن مؤشرات عديدة تدعم إمكانية حدوثه. إذ بدأت كثير من القرى المتضررة من أزمة المياه في السويدياء، بإعادة تنظيم نفسها، وانتخاب هيئات محلية مهمتها مراقبة عمل الأجهزة الرسمية للدولة والمجالس المحلية المعنية بإعادة تأهيل الآبار المعطلة وإيصال الماء إلى البيوت.

وهذه العملية من التنظيم الذاتي القائم على الاستجابة الأهلية لمعالجة الحاجات المعيشية شديدة الإلحاح، هو أبرز نموذج لتمكين المجتمعات المحلية. التنظيم الذاتي، يجب أن يترافق مع تقديم الشركاء الدوليين للدعم الكافي لتطوير التجربة، ودمقرطتها، ومدّها بما تحتاجه من وسائل سلمية وعلمية لدراسة الخيارات المتاحة أمامها لمعالجة مشاكلها المزمنة، واختيار الأنسب منها. طبعاً، يجب أن يسبق ذلك تهيئة لاستقرار أمني في المحافظة، يقوم على حوار صريح بين المرجعيات الأهلية والمجتمعية، وبين أجهزة الدولة السورية الأمنية والخدمية. حوار يتضمن البحث في قدرات الطرفين، ومطالبهما وحاجاتهما، وإمكانية الوصول إلى أرضية مشتركة بينهما. تفاهم مماثل، قد يتضمن تراجع الأجهزة الأمنية عن مقارباتها الأمنية للمشاكل والأزمات المعيشية والاجتماعية، مقابل تخفيف العبء المالي عن مؤسسات الدولة السورية. هذا الحوار، يمكن أن يساعد في إقامته والإشراف على مخرجاته، شركاء دوليون مؤمنون بإمكانية إحلال تنمية مستدامة في المنطقة، وخفض حدة النزاعات فيها.

وإذا ما عاشت المنطقة فترة من الاستقرار، يمكن لأحزاب اشتراكية اجتماعية، إيكولوجية وخضراء، في أوروبا وأميركا، العمل مع شركاء محليين على تنفيذ مشاريع مع منتجين محليين، يجابهون التحديات المناخية القاسية، بأساليب مستدامة. ويتيح هذا إمكانية نقل السياسية من عالم الهويات والايديولوجيات إلى فن الممكن اليومي الذي يتيح للناس العيش الكريم. شراكة مماثلة، تعني أن يقدم الشركاء الدوليون خبراتهم في التنظيم والإدارة المحلية، وطرق التحويل الطاقوي الأخضر، بناء على دراسات واقعية يقوم بها الشركاء المحليون على الأرض. إعادة إحياء المنطقة على أسس مستدامة ديموقراطية خضراء، ليست عملية مكلفة، إذا ما قورنت بتكاليف أي سياسة إغاثية تستهدف تقديم المساعدات الإنسانية غير المستدامة.

